تلقي اللسانيات الغربية في الثقافة العربية المعاصرة

الباحث شوكت عوده احمد القواقنه
الأستاذ الدكتور محمد اغليمو
الأردن–المغرب

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى معالجة إشكاليَّة تلقي اللِّسانيات، وفروعها من أصوات ودلالة في الوطن العربي، إذ كان لانتقالها إلى الثقافة العربيَّة هدفٌ محدد، وهو تعريف المجتمع العربي بهذا العلم الجديد وأهم مبادئه، لكن هذا الانتقال (ترجمة وتأليفا) لم يكن شبيها بانتقال العلوم الدقيقة الغربية إلى الثقافة العربية؛ لأنَّ الأمر هنا متعلق بالظاهرة اللُّغويَّة الإنسانية، فعرف هذا الانتقال اصطداما بالموروث اللُّغوي القديم، أدّى إلى نشوء صراع وصدام حضاريين، أساء إلى انتقالها انتقالاً صحيحاً.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، الفروع اللسانية، الأصوات، الدلالة، التلقي، العالم العربي، الترجمة، المستشرقون.

Absract:

This research seeks to address the problem of linguistics and its branches receiving sounds and meanings in the Arab world. Its transfer to Arab culture had a specific goal، which was to introduce the Arab community to this new science and its most important principles. But this transfer (translation and writing) was not similar to the transfer of Western exact sciences to Arab culture، because the matter here is related to the human linguistic phenomenon، so this transfer was known as a collision with the ancient linguistic heritage، which led to the emergence of a civilizational conflict and clash، which harmed its correct transfer.

key words: Linguistics، Linguistic branches، sounds، connotation، reception، Arab world، Translation، Orientalists.

مقدمة

شهد القرنُ التاسع عشر نضجا كبيرا، وتوسعا بليغا في المجال اللساني، وقد بلغ أوجه في القرن العشرين، مع ظهور محاضرات علم اللغة العام "لفرديناند دوسوسير"، حيث أصبحت علما مستقلا له مادته وموضوعه، ومنهجه، وأعلامه، مستفيدة من الكثير من الفروع المعرفية، كالفلسفة، وفقه اللغة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، فصارت تدرس اللغة الإنسانية بطابع علمي، وتعنى بدراسة الأنظمة اللغوية دراسة آنية وصفية، وتعدّ في الحقيقة تتويجا لكل الأعمال السابقة التي عرفتها الفيلولوجيا والنحو التقليدي، ولم تكن الثقافة العربية بمنأى عن هذا التطور بل عرفت انفتاحا على الثقافة الغربية بعد مرحلة من الركود التي شهدها الفكر اللغوي العربي، حيث عرفت اللغة العربية نكسات متوالية كان لها الأثر البالغ على الجهود العربية، حيث تراجع دورها، وقد كان لانفتاح لغويينا على الجهود اللسانية الغربية الحديثة ،عن طريق البعثات العلمية في مصر ولبنان وعن طريق الترجمة والمستشرقين أثرا بالغا في ظهور مجموعة من اللسانيين العرب الذين حاولوا أن يواكبوا هذا النموذج الغربي ،وذلك عن طريق تقديمه للقارئ في إطار ما يعرف بالكتابات اللسانية التمهيدية، وسأحاول في هذا المقام بدوري أن أسلط الضوء على موضوع تلقي اللسانيات الغربية في الثقافة العربية، وسيناقش هذا البحث ثلاثة محاور: المحور الأول: تلقي علم الأصوات في الثقافة العربية، المحور الثاني: العلاقة بين الصوتيات واللسانيات، والمحور الثالث: تلقي علم الدلالة في الثقافة العربية.

وسأوضح مفهوم هذا النوع من الكتابات اللسانية، وعلى الدواعي التي أسهمت في بروز اللسانيات التمهيدية العربية، وعلى أهم ما ميز الجو العام الذي تخلل تقديم هذه اللسانيات الغربية للعالم العربي.

وسيحاول هذا البحث أن يتعرف على كيفية تجسد الأوضاع العلمية للتلقي اللساني العربي للمنجز اللساني الغربي من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. كيف تجسدت الأوضاع العلمية للتلقي اللساني الغربي من لدن اللغويين العرب؟
2. كيف أسهمت هذه الكتابات في فرض وجود حقل معرفي جديد يخص علوم؟
3. كيف ساهم الدرس اللساني الغربي في تأسيس درس لساني عربي حديث يتكئ على مستجدات النظرية اللسانية الغربية؟

وقد بنيت هذه الدراسة على أساس افتراضاتي حول أهميّة وجود هذا النوع من الكتابات. كما أن دراستي هذه تهدف إلى تتبع سيرورة هذا العلم عند علمائنا، وتبيين مسار تطوره للقارئ، وقد اعتمدت في بحثي المنهج الوصفي التحليلي، مدعوما بآليات المنهج التاريخي في المواطن التي اقتضتها طبيعة البحث.

تلقي اللسانيات الغربية في الثقافة العربية المعاصرة

التلقّي عملية تتوج بها العملية التواصلية، وهو أكثر اتصالاً بالمتلقي أو المرسل إليه، لكن ذلك لا يعني الانفصال عن المرسل؛ فالتلقي موقف يستدعي فعل الإرسال، أو البث، أو الإنتاج من طرف المرسل. ويتم بموجبه استقبال رسالة بغض النظر عن نوعية الرسالة، أو نمطها أو مصدرها، حيث تتساوى كل الرسائل في تأدية وتحقيق أغراضها التواصلية، ولا فرق في ذلك بين ملفوظ عادي مصدره إنسان أمي، أو قصيدة أو رواية أو لوحة فنية، أو اكتشاف، أو نظرية علمية.

مفهوم التلقي يكتسب أبعادا ودلالات أخرى بالنظر إلى مجال التلقي، ونوعية الرسالة فإذا انتقلنا إلى الجمال العلمي، أو الإبداعي، فإن مفهوم التلقي سيصبح (مفهومًا تأويليًا)، تتاح فيه الفرصة للقارئ أو المتلقي وينفتح أمامه العمل العلمي أو الإبداعي، ليتحول إلى منتج أو مرسل ثان أو جديد.

لا يختلف تلقى النظريات والأعمال العلمية، عن تلقي الأعمال الإبداعية، فكلاهما يخضع لاعتبارات ثقافية، وفكرية عند كل من المرسل، والمتلقي، فالعالم مرسل يحتل المفاهيم المكونة للبناء العلميّ محتويات دلالية مستمدة من انتمائه الفكري الثقافي، إن كان شعوريا، أو لا شعوريًا. ولذلك لا بد أن تكون المفاهيم والمقدمات والاستنتاجات معرضة لتأويلات متعددة والمتلقي سواء كان مشتغلا في نطاق نفس العلم، أوفي نطاق علم مجاور يفهم البناء العلمي حسب تكوينه الفكري وانتمائه المذهبي"[1].

إنّ ما يختلف فيه تلقي العمل العلمي عن تلقي العمل الإبداعي يتمثل في الأثر السلبي (معيار القابلية للإبطال) الذي يتركه العمل عند المتلقي، حيث إن كثيرا من البناءات العلمية لا تجد صدى إيجابيا لدى المتلقين، حتى العلماء منهم ومن نفس التخصص، إلا في فترات لاحقة، قد تطول أو تقصر، بسبب اعتبارات معرفية وثقافية " تتخذ نتيجة التلقي من المعارضة والمقاومة صورة رئيسية، وذلك بالحكم على الاكتشاف، أو البناء العلمي بأنه "من قبيل المستبعد، أو المحال، وبذل مجهود من أجل محاولة بيان النقص والثغرات فيه، أو على الأقل الإقرار بأنّ المولود الجديد غامض و في حاجة إلى تنقيح"[2].

كما يكتسب مفهوم التلقي في العلوم والمعارف بعدا آخر، إذ إنّه يصبح (مفهومًا تاريخيًا)، لأنّه مثل أحد مراحل انتقال النظريات والأفكار العلمية، حيث يرى (إدوارد سعيد) أنّ "طريقة ارتحال أيّة نظرية، أو فكرة ما، وانتقالها تنطوي على أربع مراحل مشتركة"[3].

- مجموعة من الظروف الأولية حيث أبصرت الفكرة النور (نقطة المنشأ).
- – مسافة يتم اجتيازها وعبورها بواسطة الضغط الذي تمارسه مختلف القرائن لدى انتقال الفكرة من نقطة سابقة، إلى نقطة تالية في الزمان والمكان.

– مجموعة من الظروف أو الشروط التي تقاوم النظرية أو تتساهل حيالها مهما بدت غرابة تلك الفكرة أو النظرية مهيأة الجو لدخولها أو تلقيها في بيئة جديدة.

- تحويل الفكرة التي جرى استيعابها، أو إدماجها كليا أو جزئيا من خلال استعمالاتها الجديدة، وعبر موقعها الجديد في زمان ومكان جديدين.

تمثّل المرحلة الرابعة أو المرحلتان الثالثة والرابعة معا تلقيا للنظريات والأفكار العلمية لأنّهما تعبّران عن دخول ووصول تلك النظريات والأفكار من نقطة المنشأ، إلى نقطة جديدة والتلقي في هذه المسار غير مخصوص بثقافة دون أخرى، فقد يكون التلقّي غربيا كما هو عربي أيضًا، بل هو تلقّي نظريات وأفكار علميّة والتلقي بهذا المعنى التاريخي سيهيئ الطريق المدلول آخر يصبح فيه (مفهوما ابستيمولوجيا) يُقاس به مدى استيعاب نظرية، أو فكرة علمية ،وتمثلها نظريا، ومنهجيا، واستثمارها، أو تطبيقها في الثقافة الجديدة التي وصلت إليها. والحديث عن التلقي من هذه الناحية "لا يكون ذا معنى إلا بربطه بالعوامل الفاعلة فيه وأهمّها: تاريخ التلقي، وسيال التلقي، وشخصية المتلقي"[4].

انطلاقا مما سبق، يكون المقصود بتلقي اللسانيات تأويليا، تتساوى فيه الثقافتان المنتجة، والمستوردة لهذا العلم؛ لأن اللسانيات في هذه الحالة ستصبح كتلة من النظريات المتعاقبة، يفصح فيها اللاحق عن موقفه من السابق؛ بغية الوصول إلى تفسير مناسب للظاهرة المدروسة، وما دام مصدر تلك المواقف والنظريات غربيا، ولا أثر للعرب فيه، فإنّ تلقّي العرب للسانيات هو تلق تاريخي ابستيمولوجي، يدرس التجربة اللسانية العربية مقارنا إياها باللسانيات في مصادرها الأصول، وذلك من جهة الإخبار عن مرجعياتها، ومن جهة فعلها الإنجازي وما لزم عنه من تراكم أو أزمة ومن جهة الغرض الماثل في وجاهة استمداد واقتباس الأنظار اللسانية"[5]، ليحدّد في النهاية مدى انتمائها إلى البحث اللساني وتمثّلها له.

1- تلقي الفروع اللسانية في الثقافة العربية:

صحب تطوّر اللسانيات ظهور مجموعة من العلوم الجديدة التي تنبأ بها دي سوسير في محاضراته أو كرستها التيارات اللسانيّة المتعدّدة، بعده، ومن العلوم التي استقلّت وتفرّعت عن اللسانيات ما يعرف بالمستويات اللسانيّة، ولما كان هذا المصطلح مرتبطا بوصف وتحليل اللغة آثرنا مصطلح الفروع اللسانية لأنّها تدّل على وضعيّة هذه العلوم اللسانيّة قبل وبعد استقلاليتها عن اللسانيات وهي تشمل علم الأصوات Phonetique، وعلم الصرف Morphologie، وعلم التراكيب Syntax، وعلم الدلالة Semantique، وعلم المعجم Lexicologie، وليس المقصود بهذه العلوم ما يمكن أن يوافقها عند اللغويين العرب القدامى، كما لا يقصد بها بقية الفروع اللسانية البينية كاللسانيات الاجتماعية والنفسية. إنها فروع تعنى بدراسة اللغة لسانيًا.

وسأخصّص دراستي في هذا المبحث لتلقّي علمي الأصوات والدلالة دون غيرهما من الفروع الأخرى، لما تميّز به هذان الفرعان في الثقافة العربية من ترجمات، ودراسات تعبّر عن حداثتهما، أما علم الصرف وعلم التراكيب فإنّهما لم يحظيا بالاهتمام نفسه الذي حظي به الفرعان السابقان حيث لم أعثر على ترجمات إلا ما ندر – عنهما إلى العربية، كما أنهما فرعان بقيا محافظين على طابعهما التعليمي التراثي، باستثناء بعض الدراسات للسانيين تبنوا النظرية التوليدية التحويلية في المغرب.

2- تلقيّ علم الأصوات في الثقافة العربية

تقدمت الدراسات المنجزة في علم الأصوات على بقية الفروع اللسانية الأخرى في الدراسات العربية، وكان لها حظّ السبق في التبلور ومقاربة الصياغة العلمية"[6]. وقد حدث الأمر نفسه في الثقافة العربية، إذ انعكس ذلك التقدّم والأسبقية في مجالات عدّة؛ فعلى الصعيد التعليمي للسانيات يذكر كمال بشر" أنّ من أهم وأبرز ما قام به المبتعثون بعد عودتهم من لندن إلى مصر هو اعتماد علم الأصوات بمعناه الحديث – مادة مقررة في جدول الدراسة في دار العلوم"[7]، وكان ذلك منذ خمسينات القرن العشرين، كما تجسدت هذه الأسبقيّة في صدور أوّل الدراسات اللسانية الصوتيّة، حيث نشر إبراهيم أنيس كتابه (الأصوات اللغوية) سنة 1947، وترجم صالح القرمادي كتاب (دروس في علم الأصوات العربية) لجان كانتينو سنة 1966، وهما من أوائل ما أنجز في فروع اللسانيات في الثقافة العربية تأليفا وترجمة.

لا شكّ أنّ أسبقيّة وتقدم تلقي علم الأصوات في الثقافة العربية لم يخضع للأسباب نفسها التي أدّت إلى أسبقيّة وتقدم علم الأصوات عند الغربيين، ذلك أن من الأسباب التي أدّت إلى تقدّم علم الأصوات عند الغربيين، ظهور محاضرات (فرديناند دي سوسير) وما حملته من مفاهيم، صوتية ثم ظهور ما يعرف بحلقة براغ وما كان لها من أثر في تعميق وتزويد الدراسة الصوتية بمفاهيم جديدة كالفونيم. أما في السياق العربي فإنّنا نجد أسباباً أخرى حاولت جمع بعضها من مقدمات كتب علم الأصوات العربي:

- **فائدة هذا العلم في فهم الحدث اللغوي:** فجيل الروّاد يقصر هذا العلم عن أن يكون المفتاحُ الرئيسي لإدراك نواميس الحدث اللغوي، وبلوغ محركات الظاهرة الكلامية في نسيجها المتفاعل عضويا مع مقولة الإنسان"[8].
- **مكانة علم الأصوات في التراث اللغوي العربي خلّف** علماءُ العربية القدامى مادّة علميّة قيّمة في وصفهم لأصوات اللغة العربية، وقد حظيت هذه المادة بتقدير واعتراف المحدثين منعرب وغربيين"[9].
- **الإعجاب بالمنهج الذي عولج به هذا الفرع اللساني:** أبدى المبتعثون إعجابَهم بما توصل إليه اللسانيون الغربيون، في هذا المجال، وفي مقدمة هؤلاء (إبراهيم أنيس) الذي يصف درجة إعجابه في مقدمة كتابه بقوله: "فلما كان العصر الحديث واتصلت ثقافتنا بثقافات أوروبا، ورأينا لعلماء اللغات فيها تلك التجارب الصوتية، التي يحيل للناظر إليها أنها نوع من

السحر"[10]. ولم يبدر هذا الإعجاب من (إبراهيم أنيس) فقط، فهذا (أحمد مختار عمر يقرر أنّ "المظهر المتطور لعلم اللغة لم يتمثّل في أيّ فرع من فروع علم اللغة، مثلما تمثّل في علم الأصوات بمناهجه المتعدّدة، ووسائل بحثه المختلفة، وبآلاته، وأجهزته المتطورة"[11].

- **تصوّر اللسانيين للعلاقة بين الصوتيات واللسانيات:** بلغ **اهتمام** جيل الروّاد العرب بمادة الصوتيات درجة كبيرة جعلتهم يحصرون كليّاً، أو جزئياً اللسانيات بحقل الصوتيات"، ويجعلونها المفتاح الرئيس لإدراك نواميس الحدث اللغوي، وبلوغ محركات الظاهرة الكلامية بحقل الصوتيات"[12].

الكتب الصوتية المترجمة

إنّ ترجمة كتب علم الأصوات من لغات أجنبية إلى العربية عمل مهم ،يحقق الكثير من الغايات العلمية ،والتعليمية ،ويعود بالنفع على اللغة العربية ،ودارسيها، فهي تسهل على القارئ العربي الاطلاع على هذا العلم بلغته التي يتقنها – أي العربية – ،مما يسّر تلقي حقائقه من جهة، كما ييسّر إلقاءه على الطلاب من جهة أخرى باللغة العربية بدلا من اللغة الانجليزية"[13] لكن (منصور بن محمد الغامدي) يخرج عن هذا الحكم ويذكر فائدة تلك الترجمات فيرى أنّ التأليف أيسر للدارس ،وأكثر فائدة من الترجمة وذلك لأنّ معظم الكتب المتميّزة باللغات الأخرى تسرد عديداً من التجارب والأمثلة عن أصوات لغة الكتاب"[14]، بل يذهب أبعد من ذلك عندما يصدر عن حكم فيه شيء من التعميم والمغالطة، هو أنّه "لا توجد كتبً مترجمة ترجمة دقيقة وأمينة للإنجازات الغربية في الصوتيات"[15]. وقد برّر حكمه هذا تبريراً باهتاً يتمثّل في التصرّف في ترجمة الأمثلة، والشواهد، فالأمثلة المنقولة المطروحة باللّغة الأصليّة غير عربية، وإذا ما ترجمت فإنها تفقد خصوصيتها اللغويّة الخاصة باللّغة الأصليّة، وتكتسب خصوصيّة العربية مما قد يخرج المثال عن وظيفته"[16].

وقد ترجمت إلى العربية مجموعة من الكتب ثبتنا منها ما كان في القرن العشرين، وذلك لأنّ الكتب المؤلفة عربياً في مجال الصوتيات، وعلم الدلالة كثيرة، وقد يقع خلط بين الكتب المترجمة والمؤلفة فأردت حصر الرصد البيبليوغرافي في تلك الفترة حتى لا يكون هناك تباين واضطراب في الأحكام والنتائج.

الكتاب	المؤلف	تاريخ التأليف	المترجم	تاريخ
دروس في علم الأصوات	جان كانتينو	1961	صالح القرمادي	1966
في علم الأصوات	ارنست بولجرام	1969	سعد مصلوح	1978
التشكيل الصوتي في العربية	سلمان العاني	1966	ياسر الملاح	1983
علم الأصوات	بريتلمالبرج	1963	عبد الصبور	1985
مبادئ علم الأصوات العام	ديفيد أبركومبي		شاهين فتيح محمد	1988
مبادئ علم الأصوات الوظيفي	أتريبز تكواي	1939	عبد القادر قنيني	1994

محاضرات في الصوت والمعنى	رومان جاكبسون		حسن ناظم	1994
الفونولوجيا التوليدية الحديثة	هاري درهالست	1982	أحمد العلوي	1994

تقف ترجمة كتاب (دروس في علم الأصوات العربية لجان كانتينو في مقدّمة ما ترجم إلى العربية في مجال الدراسة الصوتية، بل إنها قد سبقت ترجمة محاضرات دي سوسير. ثم أتبع هذا العمل بترجمة كتب أخرى تُعدّ محطات حاسمة في الدراسة الصوتية مثل كتاب اتريز تكواي (مبادئ علم الأصوات الوظيفي الذي يؤسس لعلم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا).

تميّزت هذه الترجمات بتنوعها، مادة، وعرضا، أمّا من حيث المادّة فقد اتّخذ الكتابُ الأول (دروس في علم الأصوات العربية)، وكتاب التشكيل الصوتي في اللغة العربية. فونولوجيا (العربية) على خلاف غيرها من الترجمات – من الأصوات العربية مادة – للدراسة، ويعود هذا الخيار للخلفية الاستشرافية لصاحب الكتاب الأول، واطّلاعه على اللغة العربية، ولعروبة صاحب الكتاب الثاني (سلمان العاني). بينما اتّخذت الدراساتُ الأخرى من أصوات اللغة المصدر (فرنسية أو إنجليزية) مادة للدراسة في بقية الترجمات، لكنّ هذا لم يمنع المترجمين من التدخّل بوضع تعليق، أو ملاحظة في الهامش "تشرح بعض النقاط التي بدا غموضها، أو تعريف لبعض المصطلحات التي يحسن تذكير القارئ بها، أو تقسيم لاختيار ترجمة بعينها لكلمة معينة"[17]، وقد نتج عن الاستغلال الحسن لتلك الهوامش مساعدة القارئ العربي؛ فتلك الأمور تجعل الكتاب قريب المأخذ من قراء العربية" [18].

وأمّا من حيث العرض، فقد توزّعت هذه الترجمات على أنواع وأقسام الدراسة الصوتية، فهناك ما ينتمي إلى علم الأصوات العام (الفونتيك)، وهناك ما ينتمي إلى علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا)، وهناك ما ينتمي لأحد فروع علم الأصوات العام، فكتاب (في علم الأصوات الفيزيقي، مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام) يندرج ضمن علم الأصوات الفيزيائي، وكتاب (مبادئ في علم الأصوات الأكوستيكي يندرج ضمن علم الأصوات الأكوستيكي. وهناك ترجمات تعرض للدراسة الصوتية من منظور توليدي على غرار كتاب (الفونولوجيا التوليدية).

وفي المقابل تميزت هذه الترجمات ببعض السلبيات من قبيل:

- المبالغة في التصرف في الترجمة: أدرك بعض أولئك المترجمين أن التعليقات والهوامش غير كافية لتزويد القارئ العربي بما ينفعه، ورأوا في الوقت ذاته أنّ **التصرف** في النصوص المترجمة الأمثلة الأجنبية بأخرى عربية، أو الهروب من بعض الأمثلة الأجنبية – بعدم ذكرها – مسلك معيب لا يدّل إلا على عجز فاعله، وقد يدخل في مفهوم الخيانة التي يوصف بها كثير بتغيير من المترجمين غير المدققين"[19].

فلجأ أحد المترجمين – عبدالصبور شاهين – إلى إلحاق دراسات (ملاحق) مركزة تتصل بعلم الأصوات العربي بفصول الكتاب المترجم، تخللها عرض لأفكار ومواقف المترجم في الدراسة الصوتية عامة، والعربية أيضا في ما يقارب الأربعين صفحة من متن الكتاب.

ويتحجج هذا المترجم باللجوء إلى إضافة تلك الملاحق في ثنايا الترجمة لتحقيق غايتين هما:

- إطلاع القارئ العربي على الدراسة الصوتية عند الغرب.
- تقديم أفكار ومواقف للمترجم عن الدراسة الصوتية عند الغربيين والعرب"[20].
- الاجتزاء واختيار **نصوص** معينة: الملمح الآخر الذي استخدمه بعض المترجمين هو اختيار ترجمة نصوص تأسيسية في الدراسة الصوتية على غرار كتاب (الفونولوجيا التوليدية) الذي هو. مقال من كتاب، وترجمة (محاضرات في الصوت والمعنى

لجاكبسون، والسمة الغالبة على هذه الأعمال المجتزأة هو اشتراك أكثر من مترجم في إنجازها، ومن شأن هذا الاجتزاء والاشتراك في الترجمة أن يُسرع ويسهل في عملية الترجمة التي تحتاج وقتا وتدقيقا، ومن ثم مواكبة الدرس الصوتي الغربي. لكنّ ذلك الاجتزاء قد يضر بتلقي ما ورد في تلك الترجمات لأنه سيكون مبشورا عن الإطار العام الذي وردت فيه تلك النصوص والحاضرات.

- **تأثير** الخلفية التعليمية في اختيار بعض الكتب للترجمة حيث إن ترجمة بعض الكتب كان نتيجة المتطلبات تدريس علم الأصوات، فقد ترجم (صالح القرمادي) كتاب (دروس في علم الأصوات العربية بعد أن اضطلع بمهمة تدريس علم الأصوات بالجامعة التونسية عدة سنوات، وترجم (عبدالصبور شاهين كتاب (علم الأصوات) لمساعفة الطلاب في كلية دار العلوم"[21].

الكتب الصوتية العربية

شكّلت عودة (إبراهيم أنيس) إلى مصر من الابتعاث مرحلة جديدة في تاريخ الفكر اللغوي العربي بعد نشره مجموعة من الكتب والمقالات، وبعد كتابه (الأصوات اللغوية) معلما ينطلق منه عدد من الدارسين، في التأريخ للسانيات في الثقافة العربية، فهو كتاب "يقدّم الأوّل مرّة باللغة العربية

دراسة متكاملة عن الأصوات اللغوية وطرق دراستها بعامة، وأصوات اللّغة العربيّة خاصة، وذلك وفق المنهج الحديث"[22] حظي هذا الكتاب باهتمام كبير بين الدارسين ولا يزال، وقد سعى مؤلف الكتاب إلى نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية بين من يُعنون بالبحث اللغوي في مصر"[23].

توالت المؤلفات الصوتية بعد كتاب إبراهيم أنيس وتباينت في تقديمها لعلم الأصوات ومعالجتها للظاهرة الصوتية في اللغة العربية، ولئن كان كتاب إبراهيم أنيس يحظى بالسبق التاريخي فإنّ (سعد عبد العزيز مصلوح) يرى أنّ كتاب (أصوات اللغة) لأستاذه عبد الرحمان أيوب "أوّل مؤلف عربي يتناول بتفصيل دقيق وعميق معظم الجوانب التشريحية، والفيزيائية في دراسة الأصوات، على نحو يمتاز بالدقة والوضوح"[24]. كما يعد (حلمي خليل) كتاب (علم اللغة العام الأصوات) لكمال بشر مماثلا لكتاب أيوب في الدقة والوضوح"[25]، ومن المؤشرات التي تدل على أهمية كتاب كمال بشر بين الدراسات الصوتية العربية نفاذ عدد النسخ المطبوعة وتعدد طبعات الكتاب، حيث يذكر مؤلفهّ أنّه "كلما نفدت طبعاته قام الناشر بصنع غيرها من جديد وقد يفوته حظ اللحاق بحاجة الدارسين"[26].

وقد تبدو الدراسات المنجزة في علم الأصوات حتى نهاية القرن العشرين كافية لتغطي علم الأصوات في الثقافة العربية، وذلك لتنوع محتوياتها واهتمامها بتقديم هذا الفرع للقارئ العربي، لكن المدقق سيجد عكس ذلك للأسباب الآتية:

- **عدم مواكبة التطورات**: أغلب الدراسات المثبتة في الجدول دراسات بنيوية باستثناء كتابي (داود عبده) و(إدريس السعروشي) التوليديتان، وهما كتابان لا يعنوان أيضًا عن تطوّر الدراسات الصوتية رغم كونهما ينتميان إلى النظرية التوليدية، فقد عرفت "النظريات الصوتية التحولات عديدة وتطورات مختلفة، إذ مرت بثلاث مراحل هي مرحلة الفونولوجيا البنيوية ويؤطرها عمل دي سوسير ولسانيي حلقة براغ، ومرحلة الفونولوجيا التوليدية المعيار ومثلها كتاب تشومسكي وهالي (النسق الصوتي للغة الانجليزية (1968)، ومرحلة الفونولوجيا التوليدية الحديثة وتمثلها أعمال مجموعة من اللسانيين التوليديين"[27].

ولئن كانت جل الكتب قد توقفت عند المرحلة الأولى، فإن كتابي (داوود عبده) و (إدريس السغروشني) قد عرضا لمجموعة من القضايا التي تنتمي للمرحلة الثانية، أما المرحلة الثالثة فقد شملت ترجمات المبارك حنون وأحمد العلوي لبعض أعمال هذه المرحلة (الفونولوجيا التوليدية الحديثة، 1992، صواتة عروضية أم صواتة مستقلة القطع 2014، الصواتة المقطعية نحو نظرية توليدية للمقطع (2019)، ثم بدأت تظهر مع بداية القرن الواحد والعشرين دراسات صوتية عربية أطرتها أعمال هذه المرحلة، وتشكل أعمال مبارك حنون (في الصواتة الزمنية الوقف في اللسانيات الكلاسيكية 2003 في التنظيم الإيقاعي للغة العربية نموذج الوقف 2010 في الصوانة البصرية من لسانيات المنطوق إلى لسانيات المكتوب – الكتابة وعلامات الترقيم والروابط 2013 مشروعا بحثيا لدراسة الوقف وفق مقاربة الصوانة الإيقاعية"[28]، وكتاب مصطفى بوعناني (الفونولوجيا المتعددة الأبعاد المماثلة والناعم في اللغة العربية (2010) وأحمد البابي القضايا التطريزية في القراءات القرآنية – دراسات السانية في الصوانة الإيقاعية (2012).

- **غلبة الطابع التبسيطي التعليمي**: أدّى المظهرُ السابق (عدم مواكبة التطورات في الدراسات الصوتيّة إلى وصف أغلب الدراسات خاصّة الأولى منها بالتمهيدية؛ وذلك لأنّها كانت تكتفي بعرض مفاهيم صوتية بنيويّة، كما أنّها كانت تتحجّج دائماً بفقر المكتبة العربية إلى مثل هذه الدراسات التبسيطية التعليمية"[29].
- **التركيز على الفونتيك أكثر من الفونولوجيا**: ركّزت الكتابات الصوتيّة الأولى على الجوانب النطقية ،والسمعية، والفزيائية للصوت اللغوي، على حساب الدراسة الوظيفيّة التركيبيّة (الفونولوجيا)، فلم تخصّص للظواهر فوق المقطعية ،أو التطريزية مثل النبر والتنغيم ،والوقف ،دراسات مستقلة إلاّ في نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين، وهذا ما دفع إحدى الباحثات إلى القول إنّ :"الدرسَ الصوتي في اللسانيات العربية كان درساً فونيطيقيا في خصائصه العامة لا فونولوجيا، على الرغم من أنّ اللسانيين العرب قد أشاروا إلى الفونولوجيا وميّزوها عن الفونيتيكا وذكروا بعض مفاهيمها"[30].

تلقي علم الدلالة في الثقافة العربية

حظي علم الدلالة باهتمام لا يقلّ عن اهتمام الدارسين بعلم الأصوات، الصوتيات خاصة بعد تخلي النظرية اللسانية على مواقفها المناهضة له، وذلك ابتداء من ستينيّات القرن الماضي مع النظرية التوليدية التحويلية، ثم تنامى هذا الاهتمام بالمعنى مع التداوليّة التي صارت دراسة المعنى من أخص اهتماماتها. وقد تولّد هذا الاهتمام بعلم الدلالة عن مجموعة من الأسباب منها:

- مكانة المعنى في النظام اللغوي: حيث يعدّ المعنى أحد ركيزتين تقوم عليهما اللغة البشرية (الصوت – المعنى)، كما أنّ له دورًا رئيسيًا في الفهم، والإفهام في عملية التواصل.
- أهمية علم الدلالة: إنّ علمَ الدلالة بصفته دراسة للمعنى هو مركز العملية الاتصالية، وبما أنّ هذه العملية أصبحت عاملاً مهماً وحاسماً في التنظيمات الاجتماعية، فإنّ الحاجة إلى فهمها تصبح أكثر إلحاحا"[31].

تعاطى الدارسون العرب مع هذا العلم وسارعوا إلى الانكباب عليه ترجمة، وتأليفا منذ وقت مبكر، فهو يعدّ أحدَ الميادين التي قبلت فيها العربية التحدي، منذ ظهوره بصيغته الجديدة، في الستينات"[32]، ففي 1958) ألّف (إبراهيم أنيس) كتابه (دلالة الألفاظ)، وفي سنة 1962 تمت ترجمة كتاب دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان وهو كتاب في المعنى وإن كان العنوان يوهم بعكس ذلك توالت بعد هذين الكتابين ترجمات ومؤلفات أخرى في الثقافة العربية.

الكتب المترجمة

وجد اللسانيون العرب الروّاد أنفسهم أمام ضرورة ترجمة مؤلفات في علم الدلالة، بعد أن برزت حاجة ماسة للاستزادة، والتعمق ولاستقبال الكتب العالمية المعروفة في هذا المجال"[33]. وذلك لأنّ وضع هذا العلم في الثقافة العربية مختلف عن غيره من الفروع، فإذا كان لعلم الأصوات والصرف والتراكيب والمعجم قاعدة معرفية في التراث يمكن أن الحمل الدراسة في غنى عن الترجمة، فإنّ علم الدلالة لم يكن يمتلك تلك القاعدة بشكل مباشر، فكل ما هو موجود من إشارات في هذا العلم منشور في علوم مختلفة (أصول الفقه، علم الكلام، الفلسفة البلاغة). وهذه بعض الكتب المترجمة المستقلة في علم الدلالة إلى غاية نهاية القرن العشرين:

الكتاب	المؤلف	تاريخ التأليف	المترجم	تاريخ
دور الكلمة في اللغة	ستيفن اولمان	1951	كمال بشر	1962
علم الدلالة	جون ليونز	1968	مجيد ماشطة	1980
علم الدلالة إطار جديد	بالمر	1976	مجيد ماشطة	1985
اللغة والمعنى والسياق	جون ليونز		عباس صالح الوهاب	1987

ذكرت آنفا أن علم الدلالة لم يكن يمتلك قاعدة معرفية مثل غيره من الفروع اللغوية مما دفع بالدارسين إلى التعجيل في تقديم مؤلفات أو ترجمات تقدم هذا العلم الجديد، ولعل أحسن دليل على هذا الاستعجال هو ترجمة كتاب (علم الدلالة) لجون ليونز، ويمثل هذا الكتاب في الأصل فصلين من كتاب آخر الجون ليونز (الفصلان 9 و10 من كتاب علم اللغة النظري). إنّ ما يمكن تسجيله أمن خلال قراءتنا للجدول غياب ترجمة لكتابين كثيرا ما يشار إليهما في نشأة علم الدلالة هما: كتاب (دراسة الدلالة لميشال بريال، 1983، وكتاب معنى المعنى لأوجدن وريتشاردز 1923، لم تدم حالة الغياب هذه مع الكتاب الثاني فقد ترجمه (كيان أحمد حازم يحي) سنة 2016، أما الأول فبقي على حاله يكتفى منه بترجمة بعض نصوصه خاصة ما تعلق منها بتسمية العلم ومنهج الدراسة.

الكتب العربية في علم الدلالة

يعود فضل السبق في التأليف في علم الدلالة في الثقافة العربية إلى (إبراهيم أنيس)، إذ يؤرخ لصدور كتابه (دلالة الألفاظ) سنة 1958 ببداية التأليف في هذا التخصص، وقد نحا فيه منحى لسانيا معطيا إياه تلك الاستقلالية التي افتقرت إليها الدراسات الدلالية العربية قبله، حيث يقول: "ونحن في كتابنا هذا نسلك مسلك اللغويين في بحث الدلالات، ونعالجها كما يعالج اللغوي

الحديث ذلك الفرع من الدراسات اللغوية المسمى لدى الأوربيين Semantics"[34]. وبهذا يكون إبراهيم أنيس قد حاز هذا فضل السبق لمرتين، الأولى مع علم الأصوات والثانية مع علم الدلالة، توالت بعد ذلك مجموعة من الدراسات المستقلة لتغني ذلك الفقر في المكتبة العربية والذي أشار إليه الرواد"[35].

الكتاب	المؤلف	تاريخ النشر
دلالة الألفاظ	إبراهيم أنيس	1958
علم الدلالة	أحمد مختار عمر	1982
علم الدلالة عند العرب	عادل فاخوري	1985
علم الدلاة العربي	فايز الداية	1985
التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم	محمد غاليم	1987
علم الدلالة بين النظرية والتطبيق	أحمد الكراعين	1988
علم الدلالة والمعجم العربي	عبد القادر ابو شريفة	1989
اللسانيات والدلالة والكلمة	منذر عياشي	1996
المعنى في البلاغة العربية	حسين طبل	1998
مدخل إلى الدلالة الحديثة	عبد المجيد جحفة	2000
التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه	كريم زكي حسام الدين	2000
المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي	محمد غاليم	1999

لا يمكن الجزم بأنّ هذه الدراسات قد أغنت المكتبة العربية ؛لأنّ المقصود في النهاية هو الكيف ،وليس الكمّ، ومع هذا فإنّ هذه الدراسات جاءت متنوعة من حيث مضامينها المعرفية، وغاياتها، فهناك كتب اهتمت بتقريب علم الدلالة، ونظرياته ،ومفاهيمه للقارئ العربي على غرار كتاب أحمد مختار عمر (علم الدلالة)، وهناك كتب اختارت العودة إلى التراث العربي ،والمحاولة الوقوف على الجهود الدلالية عند العرب القدامى، مثل العربية) وكتاب (علم الدلالة) كتاب (علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية) ،وكتاب (علم الدلالة بين النظرية والتطبيق)

وهناك كتب قدّمت علم الدلالة في أحدث نظرياته مثل كتاب المعنى والتوافق – مبادئ لتأصيل البحث الدلالي (العربي) وكتاب (مدخل إلى الدلالة الحديثة)، وهناك من انتقل من الشق النظري إلى التطبيق مثل كتاب التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه). وبموازاة هذه الدراسات المستقلة والمتخصصة في الدراسة الدلالية عند العرب كانت هناك دراسات لسانية جعلت الكشف أو رصد المعنى في مختلف فروع اللغة وتجلياتها غاية أساسية، ويمكن في هذا الصدد عد كتاب تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها) الصادر سنة 1973 مرجعا دلاليا.

حملت تلك الكتب الدلالية العربية مجموعة من الإشكالات، والصعوبات التي أعاقت تلقي هذا الفرع اللساني:

- **تداخل المباحث الدلالية مع مباحث أخرى ذات طابع تاريخي أو تعليمي أو نفسي في كتب علم الدلالة:** حيث حوى كتابا (دلالة الألفاظ الإبراهيم أنيس) و (علم الدلالة) لأحمد مختار عمر مباحث عن التطور والتغير الدلالي وعن اكتساب الدلالة ونحوها وقياس المعنى إنّ هذا التعدّد والتنوّع في مجالات المباحث المدروسة جعل مادّة هذين الكتابين غير منسجمة ولا يضبطها ضابط منهجي دقيق"[36]، إذ تحسّ وأنت تقرأ فهرس الموضوعات أنّ كلَّ فصل من الكتاب منفصل عن غيره من الفصول، ولا يربطه به إلّا رابطُ الموضوع، وهو المعنى ،ومن مظاهر هذا التداخل في بعض الدراسات الخلط بين علم الدلالة والسيمياء ،كما نلمحه في كتاب عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة)، وفي كتاب التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه) الذي يصفه مؤلفه بأنّه أولُ دراسة سيميائية تطبيقية لمدونة لغوية"[37]، في حين أنّه اعتمد إجراءات ونظريات التحليل الدلالي.
- **غياب التصور النظري والمنهجي الواضح:** يعيب (محمد غاليم) على أغلب الدراسات الدلالية العربية غياب التصور النظري والمنهجي الواضح"[38]، وهذا السبب هو الذي أدى إلى ذلك التداخل بين مباحث بعض الكتب الدلالية، فغياب الإطار النظري والمنهجي أدى إلى أن تكون تلك الدراسات مجرد جمع المعلومات وأفكار الغير حتى ما بدا منها مختلفا عن بعضه يصدق هذا النقد على كتاب أحمد مختار عمر علم الدلالة الذي اتخذ شكلا لا هو بالمدخل ولا هو بالقاموس ولا هو بالموسوعة الدلالية لحشوه بمادة وفيرة دون التفصيل الكافي الذي يضمن الجدوى من عرضها، فهو عبارة عن عناوين كثيرة العدد تختلط فيها معطيات قديمة بأخرى حديثة في غير اتساق واضح"[39].

تطوّرت صورة التساهل في عدم تحديد الإطار النظري والمنهجي في تلك الدراسات الدلالية وتولّد عنه الحديث عن منهج تكاملي في دراسة المعنى، تتم فيه "الاستعانة بالإجراءات والنظريات المختلفة التي عرفها الدرس الدلالي؛ لأنّ قضية المعنى أشمل من أن يحتويها منهجٌ، أو نظرية بعينها"[40].

- **الاهتمام بالدلالة المعجميّة:** يعيب محمد حماسة عبد اللطيف على أصحاب الدراسات الدلالية الأولى انحصار جهد أصحابها في دلالة المفردة المعجمية"[41]. وقد مثّل هذا الموقف بشكل صريح أحمد مختار عمر، في مقدمة كتابه (علم الدلالة)، بقوله: "رأيت أن أركّز في هذا الكتاب على المعاني المعجميّة، مع بعض إشارات سريعة إلى المعاني النحوية حين يكون ذلك ضرورياً، مؤجلاً المعالجة التفصيلية له إلى كتاب آخر مستقل أرجو أن أفرغ من جمع مادته قريبا"[42].
- **الاهتمام بعلم الدلالة البنيوي:** أدّى التركيزُ في أغلب الدراسات على الدلالة المعجمية إلى إبعاد الدلالة النحوية التركيبية، ومن ثمّ الاكتفاء بعلم الدلالة البنيوي وعدم مواكبة التطورات الحاصلة في هذا المجال في النظريتين التوليدية، والتداولية التي انصبّ اهتمامها على دراسة معنى التراكيب، والجمل. ولم يُحدث الاستثناء من بينها سوى كتاب التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم) وكتاب (المعنى والتوافق – مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي) وكتاب (مدخل إلى الدلالة الحديثة، فهي كتب قدمت وتبنت أحدث التيارات الدلالية، حيث قدّم محمد غاليم في كتابيه، لما يعرف بالدلالة التصورية. وهي من أحدث التيارات في مجال علم الدلالة.
- **التناول الجزئي في الدراسات الدلالية التراثية:**[43] "(أغلب الكتابات الدلالية التراثية كانت تهتمّ بقطاع معيّن من التراث العربي، كالبلاغة، أو الفلسفة، أو أصول الفقه)، أو بعلم واحد من أعلام التراث العربي كعبد القاهر الجرجاني، أو الآمدي، أو الغزالي. وقد تولّد عن ذلك التناول الجزئي "عدم الاهتمام بطبيعة التصورات الدلاليّة التي يشترك فيها هؤلاء جميعا إلى هذا الحد، أو ذاك، ومن ثمة انصب الاهتمام على المسائل، أو القضايا الدلالية دون الأصول أو المقدمات الدلالية التي بررت تناول تلك المسائل بعينها دون غيرها"[44].

تلقي النظريات والاتجاهات اللسانية في الثقافة العربية

إنّ محاولة لدراسة تلقيّ كل النظريات والاتجاهات التي عرفها الدرس اللساني في أوروبا، وأمريكا على أعقاب محاضرات (فرديناند دي سوسير)، لا يسعها هذا البحث، لأن انتقال هذه النظريات من منابتها الأصلية إلى ثقافتنا العربية قد عرف مجموعة من المتغيرات، في مقدمتها خصوصيّة اللغة العربية في التطبيق، لهذا سأقتصر على دراسة تلقيّ النظريات الكبرى التي عرفها المشهد اللساني العالمي، وكان لها أثرٌ في مساره، وهي البنيوية والتوليدية والتداولية.

تلقيّ اللسانيات البنيوية الوصفية في الثقافة العربية:

إنّ المقصود باللسانيات البنيوية الوصفية هو ذلك التيار اللساني الذي شكلّت أعمال (فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure) رافده الأول وطوّرته أعمال اللسانيين اللاحقين في أوروبا وأمريكا، وهي تيار لساني تدرّس فيه اللغة على اعتبارها نظاما، أو نسقا مجرداً، وتعطى فيه "الأولوية للبنية على العناصر المكونة لها"[45]. وللكلّ على الجزء، وذلك بالتركيز على مجموعة من العلاقات التي تحدّد قيمة كل وحدة من الوحدات اللغوية في النظام، أو البنية اللغوية. ولا تستقيم الدراسة إلا بتوفر جملة من الشروط أهمّها تحديد الدراسة بفترة زمنية ثابتة والابتعاد عن التفسير والتعليل.

شكّلت اللسانيات البنيوية الوصفية أوّل الاتجاهات اللسانية التي تم تلقيها في الثقافة العربية، بعد أن وقع اتّصال مباشر بين الثقافتين العربية والغربية، عن طريق البعثات العلمية وشكلت مصر البيئة الحاضنة لهذا الاتصال، حيث أثمرت عودة المبتعثين نهاية النصف مع الأوّل من القرن العشرين وبداية النصف الثاني تأليف وترجمة العديد من الكتب التي يصب جلها في خانة اللسانيات البنيوية الوصفية، وإنّ اتّخذ أغلبها مصطلح علم اللغة، أو علم اللغة العام عنوانا لها. وقد عرف مسار تلقي هذه النظرية في الثقافة العربية مرحلتين:

- **مرحلة الانحصار والرفض:**

لم تحظ النظرية اللسانية البنيوية بالقبول في الأوساط الثقافية والجامعية المصرية حيث قوبلت بالرفض دفاعًا عن التراث اللغوي العربي، وقد أشار (تمام حسان) إلى جانب من هذا السياق ،الذي ظهرت فيه اللسانيات البنيوية الوصفية في الثقافة العربية، حيث كان الجّو مشحونا داخل الجامعة المصرية بين العائدين من الجامعات الأوروبية الطامحين إلى تدريس اللسانيات وبين المدافعين عن التراث اللغوي العربي، حيث يقول :"وحين كنت أتولى تدريس علم الأصوات اللغوية لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم بالقاهرة – فيما بين سنتي 1953 1959 – كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة ولا سيما عند تطبيق منهجها وأفكارها على دراسة اللغة الفصحى"[46].

وقد أثّر هذا السياق سلبا على انتشار اللسانيات البنيوية الوصفية عربيا، لأنه كان نشاطا معزولا؛ إذ كان عبارة على جهود فردية بعيدة عن نشاط المؤسسات اللغوية القائمة التي رفضت تبني هذه الجهود أو الاضطلاع بها وإنشاء وضع لساني حقيقي من خلالها"[47].

- **مرحلة الانتشار:**

لم تدم حالة الرفض هذه طويلًا فسرعان ما بدأ يزول ذلك الوضع تدريجيا، إذ عرفت اللسانيات البنيوية الوصفية في الثقافة العربية بريقا معرفيا في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين"[48]، مما نتج عنه انتشار واسع لها فك عزلتها، وسمح بانفتاحها على بلدان عربية أخرى، حيث انتقل عدد من البنيويين الوصفيين المصريين إلى التدريس في جامعات عربية ومثال ذلك، تمام حسان الذي أعير

للتدريس في جامعة محمد الخامس بالمغرب بين سنتي 1973 و 1979، وتدريسه بمعهد اللّغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى بالسعودية بين سنتي 1980 و 1996"[49]. وفي هذه الفترة أيضا صار من الممكن تطبيق هذا النموذج على اللّغة العربية بعد أن كان مرفوضا في البداية.

عرفت اللسانياتُ البنيوية الوصفية في الثقافة العربية تطورات معرفية خلال المرحلتين اللتين أشرت إليهما، حيث توزّعت على ثلاثة تيارات أساسيّة:[50]

- التيار النقدي للتفكير اللغوي القديم.
- الدعوة النظرية لأصول علم اللغة البنيوي.
- تطبيق البنيوية الوصفية على اللغة العربية.

- **التيار النقدي للتفكير اللغوي القديم**: شكّل نقدُ النحو العربي مرتكزاً معرفياً استندت عليه أغلب الكتابات اللسانية البنيوية العربية، حيث أعتنى مجموعة من جيل الرواد اللسانيين في **مصر** بمعالجة بعض المشاكل اللغوية وتصحيح ما رأوه نظرة قاصرة وخاطئة في التراث النحوي. عرفت هذه الكتابات تفاوتا في نقدها للتراث النحوي، فهناك من كان نقده عبارة عن إشارات أو مباحث أو فصول في كتب لسانية عامة، مثل كتاب (أسرار اللغة 1951) لإبراهيم أنيس، وكتاب اللغة بين المعيارية والوصفية 1958 (لتمام، حسان، وكتاب (قضايا لغوية (1962) لكمال بشر، وهناك من خص نقده للتراث النحوي بكتاب مستقل مثل كتاب دراسات نقدية في النحو العربي 1957) لعبد الرحمان أيوب، وكتاب (اللغة العربية معناها ومبناها (1973) لتمام حسان، الذي حوى نقدا للتراث النحوي في مختلف مستويات.
- **الدعوة النظرية الأصول علم اللغة البنيوي**: سعى عددٌ من اللسانيون إلى تقديم اللسانيات للقارئ والمتلقيّ العربي، من خلال التعريف بأسس اللسانيات العامة، ومبادئها، ومن الأعمال **الأولى** التي تندرج في هذا المجال كتاب مناهج البحث في اللغة 1955 لتمام حسان، وكتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (1962) لمحمود السعران.
- **تطبيق البنيوية الوصفية على اللغة العربية**: سارع عددٌ من اللسانيين إلى تطبيق نموذج اللسانيات البنيوية على اللغة العربية الفصحى، بعد أن كانوا يطبّقونه في البداية على أمثلة **بسيطة** منها أو على لهجات عامية. وقد انقسمت اهتماماتهم بين إعادة قراءة التراث اللغوي العربي على ضوء اللسانيات البنيوية، أو تطبيقها على اللغة العربية الفصحى، وكلا الاهتمامين جمعهما كتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان.

الخاتمة:

شكّلت اللسانيات قطب الرحى في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، فقد نشأت وترعرعت في جوّ علميّ محكم، وكان انتقالها إلى الثقافة العربية عبر مجموعة من مراحل أبرزها البعثات العامية إلى الخارج والتخصص في الجامعات الغربية الذي أدى إلى احتكاك الفكر العربي بالدراسات اللسانية الغربية، التي ولّدت في نفسيّة الباحث العربي نوعا من الصراع والخوف، فتعامل معها بنوع من الاحتراز والريبة، بسبب خوفه على التراث، والعزوف عن كلّ وافد غربي، مما شكّل العائق الأكبر لانتقال اللسانيات إلى الثقافة العربية.

التوصيات:

– أن تكون العناوين والمقدمات موافقة للمحتويات، وخاصة في الكتابة اللسانية التمهيدية؛ لأن معظم العناوين لا تتوافق مع المحتوى، ولا يعبذر المحتوى عنها.

– عدم رهن المساءلة لدى الباحث بمعالجة صيغ وملامح تلقي الثقافة العربية لمختلف النماذج اللسانية.

– لا بدّ للدارس من فحص خصوصيات التلقي واشكالاته، وعوائقه، الذاتية، والسيسيولوجية والإبستمولوجية التي جعلت اللسانيين العرب يركنون إلى هذا الوضع الراهن.

الهوامش:

(1) البغراتي، بناصر، خصوبة المفاهيم في بناء المعرفة، دراسات ابستومولوجية، دار الأمان الرباط، ط 1، 2007م، ص 159.
(2) البغراتي، خصوبة المفاهيم في بناء المعرفة، مصدر سابق، ص 159.
(3) سعيد، ادوارد، انتقال النظريات، مجلة الكرمل، مؤسسة بيسان للطباعة والنشر، الكويت، عدد 9، 1982م، ص 13.
(4) علوي، حافظ اسماعيلي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد، لبنان، 2009م ،ص 11.
(5) علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص 11.
(6) المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية، فصول، العدد3، 1986م،ص 13.
(7) بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص 25.
(8) المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، مصدر سابق، ص 13.
(9) يقر المستشرق الألماني برجشتراسر في تفوق العرب القدامى في حقل الصوتيات، ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص 11.
(10) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985م،ص 4.
(11) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997م، ص 14.
(12) المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، مصدر سابق، ص 13.
(13) ليدفوجد، بيتر، مبادئ علم الاصوات الاكوستيكي، تر: جلال شمس الدين، ط 1، 1992م، ص (و).
(14) الغامدي، منصور بن محمد، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط 1، 2001م، ص 2.
(15) الغامدي، الصوتيات العربية، مصدر سابق، ص1– 2.
(16) الغامدي، الصوتيات العربية، مصدر سابق، ص1.
(17) ليدفوجد، مبادئ علم الأصوات، مصدر سابق، ص (و).

(18) مالمبرج، بريتل، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1984م، ص13.
(19) مالمبرج، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب ، مصر، 1984م، ص4.
(20) مالمبرج، علم الأصوات، مرجع سابق، ص4.
(21) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، د. ط، 1966م، ص 7.
(22) خليل، حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1988م، ص 148.
(23) أنيس، الأصوات اللغوية، مصدر سابق، ص 4.
(24) مصلوح، سعد، دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص 1.
(25) حلمي، خليل ، العربية وعلم اللغة البنيوي، مصدر سابق، ص 198- 199.
(26) بشر، علم الاصوات، مصدر سابق، ص 6.
(27) درهالست، هاري، الفونولوجيا التوليدية الحديثة، تر: أحمد العلوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1992م، ص5.
(28) حنون، مبارك، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009م، ص11.
(29) غلفان، مصطفى، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والاسس ، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب، 1998م، ، ص102-117.
(30) بكوش، فاطمة، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دار الكتب والوثائق العراقية ، العراق، 2004م،ص 112.
(31) ينظر: بيير جيرو، علم الدلالة، تر: منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، ط 1، 1988م، ص 8.
(32) بالمر، اف، ار، علم الدلالة إطار جديد، تر: مجيد ماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1985م، ص 1.
(33) بالمر، علم الدلالة إطار جديد، مرجع سابق، ص 1.
(34) أنيس، إبراهيم دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 5، 1984م، ص 7.
(35) عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص 6.
(36) الحاج، محمد غاليم، المعنى والتوافق: مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، عالم الكتب، الحديث، الأردن، 2010م، ص 117.
(37) حسام الدين، كريم زكي، التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، دار غريب للنشر، مصر ، 2000م، ص 1- 14.
(38) الحاج، المعنى والتوافق: مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، مرجع سابق، ص102.
(39) ينظر: الحاج، المعنى والتوافق: مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، مرجع سابق، ص 127،
(40) حسام الدين، كريم زكي، التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، مرجع سابق، ص 15.
(41) عبد اللطيف، محمد حماسة، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى، دار الشروق ، القاهرة ، 2000م،ص70.
(42) باي، ماريو، أسس علم الدلالة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط 8، 1998م، ص 7.
(43) الحاج، المعنى والتوافق: مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، مرجع سابق، ص103.
(44) الحاج، المعنى والتوافق: مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، مرجع سابق، ص103.
(45) مجموعة من الأساتذة والباحثين، إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات معربة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، ط 1، 2012م، ص 6.
(46) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، د. ت، ص7.
(47) بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، مصدر سابق، ص3.
(48) غلفان، مصطفى، اللسانيات البنيوية: منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2013م، ص9.
(49) مجموعة من المؤلفين، تمام حسان رائدًا لغويًا، مصدر سابق، ص 15- 16.
(50) خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، مصدر سابق، ص245.